

أخلاقية المفرغية

بسم : موسى صبري

كل ما يشغل بال الحكام العرب هذه الأيام ، هو أن يشيخوا ، أنهم قادرون على العمل من غير مصر . . . وهي عملية ((علاجية)) . أولاً وأخيراً هدفها أن ينتزعوا أنفسهم من عقدة النقص التي ترهقهم . . . وهي أن مصر هي صاحبة القرار الرائد . . . وهي قادرة وحدها على تنفيذ قرارها . . . وكنا نريد مخلصين ، إلا تنزلق السعودية في هذا الحلف الواهي ، لأن لها مكانتها لدى شعب مصر . . . ولكن السعودية أرادت أن تصحى بهذه المكانة . . . وهي حرة في اتخاذ قرارها ، ولكنها سوف تترك بصيد حين . . . أن النصيحة التي استتمت إليها ، كانت نصيحة شريرة . . . لأن الحقائق سوف تثبت أن ما بنى على فراغ ، لا بد أن ينهار . . . وأن تصحية حكام السعودية ، بشعب مصر ومشاعره ، لن يعوضها حلف مع حاكم دموي في العراق هدد أن يقتل بيده أي حاكم يتعاون مع مصر . . . أو مع ((أسد)) مهيب في سوريا لا يستطيع أن يبقى على مقعده يوماً واحداً لو أغلق السجون والمعتقلات . . . أو مع طائش في ليبيا يعساني اليوم لوعة غرام مع فتاة صغيرة . . . ولوعة أحلام بامبراطورية وهمية . . . ومع ذلك ، فنحن نقول لهؤلاء جميعاً . . . هاتوا كل ما عندكم . . . افرغوا كل ما في جيبكم . . . ولنر ماذا يمكن أن تقدموه للشعب العربي ، الذي تريدون اليوم بكل حملات الكراهية ، أن تفصلوه عن شعب مصر .

آخر قرار

وأخر مثل امامنا . . . مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد أخيراً في المغرب ، بغير حضور مصر . كان الخوف أولاً أن تحضر مصر . . . وأن تواجه صيحات التهريج وأصحابها . ولم تحضر مصر . فماذا أسفر عنه المؤتمر ؟ . . . قرار بأن تسعى الدول الإسلامية ، لدى كل دول العالم ، لإقناعها بحق العرب في القدس العربية ! . . . وكأننا لا نزال نبدأ من جديد . اليس امامكم الآن ، وباتفاق كامب دافيد ، رأى أمريكي معطن ومسجل في وثائق متبادلة ، بالتأييد الأمريكي لحق العرب في القدس العربية ؟ . . . اليس امامكم التزام ، اضطرت إليه إسرائيل ، في كامب دافيد ، بتطبيق قرار ٢٤٢ وفقاً للتفسير العربي بالانسحاب الكامل من الأرض المحتلة ومنها القدس العربية ؟ . . . اليس امامكم نص واضح في كامب دافيد وفعت عليه إسرائيل ، بالاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ؟ . . . إلا تسمعون الآن بيجين رئيس حكومة إسرائيل ، وهو يحاول التملص من هذا الاتفاق ، متصوراً أن الخلاف العربي هو فرصته المثلى ؟ . . .

ولنتمش مع قرار مؤتمر الضرب إلى نهاية المطاف . . . بلوت كل الدول الإسلامية حسابها لإقناع دول العالم بالحق العربي في القدس . وماذا بعد ؟ . . . كيف سنحصل على القدس العربية ، إلا بأيدينا . وإذا كنتم طرفتم جانب الحرب ، واحترتم طريق السلام . . . فما هو السبيل بغير المفاوضات المباشرة التي أدخلت مصر - أمريكا - شريكة في كل خطسواتها ؟ . . . وإذا كنتم تؤكفون في قرارات المؤتمر الأخير ، بأنه لا سلام بغير الحل الكامل للمشكلة الفلسطينية . . . فهل قالت مصر - من قبل ومن بعد - بغير هذا ؟ . . .

الوقت الضائع

المؤلم . . . أن الحكام العرب في هذه المرحلة الخطيرة ، لا يفعلون أكثر من تبديد الوقت والجهود . . . وأن كل النجاح الذي يتصورونه ، هو شن حملة الكراهية ضد شعب مصر . ولكن هذه الحملة ، لن تؤدي أبداً ، إلى تلويب التناقضات القائمة ، بين حلفاء اليوم . العراق وسوريا . . . فشلنا في الوصول إلى أدنى اتفاق حول الوحدة . اليمن الجنوبي الماركسي . . . سساتر في الاستراتيجية السوفيتية ، باجتياح اليمن الشمالي . . . حتى يصل إلى التهديد المباشر للسعودية .

((البقية ص ٧))

الحلقة المفرغة

بقية مقال موسى صبري

ان مؤتمر جنيف أصبح بغير جدوى الآن .

اما مبرسان منظمات التحرير المختلفة .. فهم يطالبون بالنفصال والنضال هو في عمليات فدائية محدودة ، تغفل اسرائيليا او اثنيين او ثلاثة .. ثم يعجز الرد الاسرائيلي بفسزؤ بربرى .. يقف امامه جميع الحكام الراقضين والمشايعين لهم ، في غاية الادب والاحترام ! ولا اريد ان اسرد ما تنقله النسا البرقيات كل يوم .. و آخرها ان الاتصال بين العراق ومنظمة التحرير انتهى الى لا شيء .. ولم توافق العراق حتى الآن على انشاء مكتب للمنظمة في بغداد . وحتى المنظمة التي تعمل لحساب العراق ، اصابها الانشقاق الى منظمتين .. وهكذا !! اخضر ما في الموقف العربي ، بالنسبة للنظم المعتدلة .. انها خلصت في كل ما جرى على المسرح العربي اخيرا ، لتهديد البعث والمنظمات الفلسطينية .

وليس سرا ان الكويت يخشى غزوا بعثيا ، ففقيدة البعث ان الكويت هي احدى محافظات العراق .. ليس سرا ان حكام الكويت يخشون ايضا ادهانا فلسطينيا يسيطر على الحكم . ولعل وضع حكام الكويت ، هو اردل الاوضاع ، فلا جيش ولا قوة بشرية . ولذلك فان مغالاة ضعف الكويت في الوفاحة والتبذل على مصر قد وصلت الى احط الاساليب . وليس سرا ان معظم العمال في حقول بترول الخليج من الفلسطينيين .. واجهزة الامن محدودة القدرة . وقد اعترف بعض حكام الخليج ، بانهم تلقوا تهديدات بالانقلاب .

وليس سرا ان السعودية قد اكتشفت عمليات تهريب اسلحة روسية الى داخل السعودية .. وانها تفرض الان رقابة مضاعفة على حدودها وموانئها .. حتى ان اقصية البرتقال نتج .. ويفشى القلص برتقالة .. برتقالة ..

وقيادات منظمة التحرير تهدد علنا ..

وحجتها انها لن تقبل بشيء لو تهدم المبد على الجميع . بل هي تكرر دائما ، ان العمل الفدائي الفلسطيني اشترك في ثورة الخميني في ايران .. وهذا التهديد له ممانه .. على الرغم من ان المسئولين في الحكم الايراني الجديد ، اعلنوا تحذيرا للمنظمات الفلسطينية الا تتدخل في الشؤون الداخلية لايران .. كما اعلنوا انهم لم يعدوا منظمة التحرير باسلحة .. وانهم التزموا فقط بالتأييد المعنوي للقضية الفلسطينية .

الخلاص .. في الحل

ولن نتخلص الدول العربية المعتدلة ، من هذا التهديد المستمر ، الا بحل القضية الفلسطينية . والحل هو اقامة دولة فلسطين في الضفة الغربية وغزة . وعلى الاقل .. هذا هو الحل الذي تعلنه لجانة المنظمات المتعاركة انها ترضيه ..

الآن .. لماذا تجنح الدول المعتدلة ، الى طريق خاطيء لن يصل بها الى تحقيق شيء .. بل سوف يضاعف من سطوة التهديد على نظمها ؟ .. ان .. لماذا لا تشارك الدول المعتدلة ، بكل امكانياتها ، في طريق السلام .. وهو الطريق الوحيد .. للحل ؟ ..

هذا سؤال يجب ان توجهه قيادات الدول المعتدلة ، الى نفسها .. ويجب ان تتدارس النظرة البعيدة .. لاتار كل هذه التصرفات السطحية التي تشارك فيها الآن . لكي تنزل عن شطب مصر ..

ان هذا الحصار الاقتصادي لمصر ، الذي يتباهون به الآن ، هو وصعة عار في جبين عربيتهم .. لان مصر القوية هي درعهم .. وهي ليست اداة تهديد لهم .. بل هي القوة الكبرى التي تصدت للاطماع السوفيتية في المنطقة العربية ، واول هذه الاطماع ، اسقاط كل هذه النظم المعتدلة . لماذا لا تتكثرون مع مصر ، لمزيد من الضغط المباشر على اسرائيل ، وعلى القوى الصهيونية التي تحاول الان الاستغادة من هذا التمزق العربي .. وبهذا التمزق استغادت اسرائيل ، وقويت ، وفرضت نفسها .. منذ نشوتها .. ولم تعد ((مزعومة)) .. ولم تعد قوة عربية قادرة على القائها في البحر ..

ان الدول المعتدلة ، تملك قوة اقتصادية هائلة ، يمكن ان تكون ضافطة .. لو تكتلت الايدي ، ونسقت الانوار .. ولكن هذه القوة الاقتصادية ، نستغل الآن .. لكي تبدو مصر وكأنها وحيدة عاجزة . وهذا هو الخطا الاكبر . لان المقومات التي تصنع الدور المصري .. لن يجدى معها ، هذا السلوك السطحي .

ولكن .. ماذا بعد ؟ .. انتم الان تنزعون انفسكم ، بهذه القرارات السلبية . وانتهى الامر . وبقيت خطوات الفرار الحق العربي ، عاجزة .. وستبقون في مواضعكم دون حراك .. الا استمرار الاتهام لمصر .. واستمرار خضوعكم للتهديد البعثي وتهديد المنظمات ..

الاوضاع في لبنان تتدهور .. وجزائرم الانتقام ، سرديس .. لا يهددها الا بيانات وتصريحات متداعية مخجته .

انضم اندلس في ليبيا ، لم يراجع عن موقفه من النظام السعودي ، وهو انه حتم رجعي يجب ان نالته الثورة .

جورج حبش رئيس المنظمة الفلسطينية المؤيدة من العراق والقذافي .. يعن بلامس صغف .. ان السعودية شريفة في ((المؤامرة الامبريالية)) .. وان الفتح الفلسطيني يجب ان يتجه ضد السعودية والدول الرجعية ..

ملك المغرب لم يصل ، الى هدفه ، وهو حل مشكلة الصحراء مع الجزائر ، مقابل تخليه عن موقف التأييد لمصر .. واصبحت حملات الكراهية ضد مصر .. هي السنار الذي يتصورونه حاجبا لكل هذه الآسى .

وليس من نتيجة للاستمرار في هذه النشاطات الاستعراضية الدعاية ، الا انهم قد انزلوا - كحكام - عن مصر وشعب مصر .. وسوف يدورون حول انفسهم ، حتى يرهقهم الدوار .. ومصر تتقدم الى طريقها .. حتى نهاية الطريق .

كل هذا .. لماذا ؟

منيع هذا كله ، شعور تملك بعض الحكام العرب ، بان مصر يجب ان تبقى دائما على حافة الجوع . فلا هي تجوع حتى تنهار ، ولا هي تشبع حتى تقوى . وهم يتصورون ان قوة مصر ، يمكن ان تكون اداة تهديد لانظمتهم .. وقد قاسوا من التجربة مع جمال عبد الناصر . وهذا تصور بالغ الخطا .

ان عبد الناصر كان يعلن انه يصدر الثورة المصرية الى الخارج . وكان يعلن ايضا بكل وضوح بعد الاجراءات الاشتراكية في مصر ، انه لا وحدة بغير اشتراكية ، وان النظم الرجعية يجب ان تسقط . ثم كانت هزيمة ٦٧ التي جعلت عبد الناصر يمثل عن هذه السياسة ، بعد ان ثبت ان الخلافات بين الدول والدول ((التقدمية)) اقسى وامر سييلا من الخلافات بين هذه الدول والدول ((الرجعية)) ..

وجاء انور السادات .. ليعلم الشرعية الدستورية .. ويلتزم بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لاية دولة عربية .. وينادي بحد ادنى من التضامن العربي لمواجهة العدو الواحد .

.. ولكن .. وبعد ان تحقق نصر أكتوبر لأول مرة ، في التحدي العربي للاطماع الصهيونية .. بدأت المواقف العربية المتضامنة .. تتراجع عن هذا التضامن . واصبح التعبير المصري ، عن نصر أكتوبر ، يزجج اذان الحكام العرب . ثم جاء الانتصار المصري في معركة السلام .. واصبح العالم كله ، لا يعرف الا زعامة مصر التي حققت هذه المعجزة بعد ثلاثين عاما من الحروب والاحقاد والدماء .

وهكذا تضاعف الخوف من مصر .. ولكن مصر تعاني ازمة اقتصادية طاحنة . فليكن ان حصار مصر في هذه الازمة . ولتكن المعونات الاقتصادية لمصر ، في قدر محدود . ولتستمر مصر في المعاناة . وبدأ تعبير مصر بفقرها .. وبالمعونات التي لا تساوي ثلثا على مائة ارباح البترول . ويكفى ان نصرف ان مصر تتحمل بليوننا من الدولارات لدعم السلع الاساسية . فاذا كانت الدول البترولية تعيرنا بسبعة بلايين او عشرة .. فبمعتها على مدى سنوات .. فهذا هو الامر المضحك او المؤلم . الآن .. فلنكن الحملة ، ضد انتصار السلام الذي حققته مصر . وليكن كل الجهد ، في اظهار مصر امام العالم - الذي رفعها الى اسمى مكانة - بانها لا تنصدر ، ولا تستطيع تنفيذ القرار ..

وهذا يفسر ان كل الاجتماعات بين هؤلاء الحكام ، وكل القرارات التي اصبروها .. كلها موجهة في كيل الاتهامات ضد مصر .. وليس واحد منها ، قد قدم التزاما امام الامة العربية .. باستراتيجية عربية لاسترداد القدس ، او انشاء دولة فلسطين ..

سؤال بلا جواب

وما نحن نرى ان قرار مؤتمر المغرب الاخير ، هو السعى لدى دول العالم لاقتناعها بحق العرب في القدس العربية ! والسؤال الذي يتهرب منه الجميع : ما هو البديل الذي تقدمونه لما فعلته مصر ؟ ..

ولا نسمع اجابة واضحة ، الا القول بالعودة الى الامم المتحدة !! .. وكان مئات القرارات من الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم ، قد لقيت تنفيذا !

بل حتى في هذه الاجابة .. هم مختلفون .. قال الاسد .. مؤتمر جنيف . وقال ((الخدام)) وزير خارجيته ..